(١٣)

هل هو إله يصارع عبيده ويُهزَم؟

«فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ. ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ. فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي. لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ» (تك ٣٢:٢٤- ٢٩).

هذه القصة تطرح العديد من الأسئلة:

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «تنسب التوراة إلى الله أفعالًا كتلك التي تصدر عن البشر بسبب جِبلتهم وضعفهم الذي خلقهم الله عليه، ومن ذلك عجز الإله عند مصارعة يعقوب»[1] ويقول علاء أبو بكر: «ما شاء الله!! نبي يضرب إلهه؟ فما حاجته إلى أن يباركه الرب؟ لماذا لم يطلب الرب من يعقوب أن يباركه؟ وما حكمة الرب أنه يتفاخر بين عبيده بأن يعقوب ضربه؟[2]

والسؤال: من الذي صارع يعقوب: هل إنسان كما في آية ٢٨ ، أم الله كما قال يعقوب عنه في آية ٣٠ ، أم ملاك كما جاء في (هو ١٢: ٣،٤)؟ هل من المعقول أن يصارع يعقوب الله ويغلبه؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

هناك ثلاثة آراء يقدمها العلماء في هذا الموضوع وهي:

أولًا: مجرد حُلم أو رؤيا:

يرى بعض المفسرين أن اختبار يعقوب هذا كان مجرد حُلم أو رؤيا. ويقولون إن يعقوب كان على أبواب أرض كنعان، هاربًا من بيت خاله، وراجعًا ليواجه أخيه عيسو الذي سبق وسلب منه بكوريته، فكان في رعب من ماضيه، ورعب أكبر مما ينتظره على يد أخيه. في هذه الحالة البدنية المرهقة من طول السفر، والحالة النفسية المضطربة من الخطر القادم، أراد الله أن يشجع نبيَّه، فأجازه في اختبارٍ روحي، في صورة حُلم، رأى فيه نفسه يصارع قوة أكبر منه، غامضةً غير واضحة، يجاهد معها لينال بركتها، ولكنه ينكسر أمامها، وفي الوقت نفسه لا يستسلم ليأخذ منها البركة التي يشتاق إليها، ويخشى ألاّ يحصل عليها! ويقول الوحي إن المصارع الغامض ضرب حقَّ فخذ يعقوب، فانخلع حُقّ فخذه (آية ٢٥) «وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ... وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ « (آية ٣١). ومن المعتاد أن الصراع في الحلم يترك صاحبه مُنهَكًا، فإذا حلُم أنه يجري استيقظ وهو يلهث، وإذا حلم أنه يُضرب استيقظ وهو يصرخ. وعندما ضُرِب حُق فخذ يعقوب في حلمه صحا في الصباح وهو

يعرج على وِركه، من شدة المعاناة في الحلم[٢].

ويبرهن هؤلاء المفسرون على أن هذا الاختبار الروحي كان حلمًا وليس أمرًا واقعًا، بأن المصارع الغامض المجهول لم يُفصِح عن شخصيته. إلى جانب أن الوحي يقول إن هذا المصارع الغامض «رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ (على يعقوب)» (تك ٣٢:٢٥).

ويقول هؤلاء المفسرون إن يعقوب سبق له أن جاز في اختبارٍ روحي مشابه في طريق هروبه من أخيه عيسو، لاجئًا إلى بيت خاله لابان، فنقرأ: «وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ». فَاسْتَيْقَظَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: «حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!». وَخَافَ وَقَالَ: «مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ» (تك ٢٨:١٢-١٧). وقد كان حُلم يعقوب الخائف في هروبه من كنعان وفي طريق عودته إليها تشجيعًا من الله له، ليعلم أن الله سيحقق له وعده، على شرط أن يكون خاضعًا لله يسلِّم وجهه له، ويتمسك به، ويلحُّ في طلب بركته.

ثانيًا: صارع يعقوب ملاكًا ظهر له:

ويرى فريق آخر من المفسرين أن ما جرى ليعقوب حادثة تاريخية، لأنه قبل هذا الاختبار الروحي كان يعقوب يجاهد مع الناس وينتصر ولو بالخداع، فغش وخدع أباه إسحق وقال له إنه ابنه الأكبر عيسو، وأخذ بركة أبيه التي تخص أخاه عيسو. وبانتهاز الفُرص أخذ من أخيه عيسو امتياز البكورية. وعند خاله لابان اجتهد أن يأخذ الجانب الأكبر من ثروة خاله، ثم أخذ زوجتيه (وهما ابنتا خاله) وهرب بهما بدون أن يودِّعا أباهما وأهلهما. فكان لا بد أن يجتاز يعقوب اختبارًا قاسيًا يغيِّره ويبدِّل مسار حياته، فأرسل الله له ملاكًا في صورة إنسان، أخذ يصارع يعقوب ليُخضِعه، ولكن يعقوب تشبَّث به، كما يتشبَّث طفلٌ بيد أبيه أو بثياب أبيه، وهو يطالب أباه بشيء ما. ولم يقدر ذلك الملاك أن يوقف يعقوب عن إصراره، لأن يعقوب كان قد تعوَّد أن يتعقَّب الآخرين ويحصل منهم على ما يريد، فضربه على حق فخذه ليُخضعه فيستسلم. وعندما استسلم باركه الملاك بأن غيَّر اسمه من يعقوب (ومعناه المتعقِّب) إلى إسرائيل (ومعناه يجاهد مع الله) وقال له: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ» (تك ٣٢:٢٨). وقد وصفه النبي هوشع بالقول إن يعقوب «بِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللهِ. جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ. بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ». والدرس المستفاد لنا من اختبار يعقوب أننا نجاهد مع الله في الصلاة، ونحني رؤوسنا لإرادته الصالحة.

ثالثًا: ظهور مسياني:

مع احترامي للرأيين السابقين وما بهما من دروس رائعة إلا إننا عندما ندرس قصة هذا الصراع ندرك أنه لا يمكن أن يكون مجرد حلم، أو صراع مع إنسان أو ملاك للأسباب الآتية:

(١) إصرار يعقوب على نوال البركة منه «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». والبركة أمر خاص

بالله، ولم يحدث في التاريخ أن إنسانًا صارع إنسانًا أو ملاكًا لكي يباركه. وقد نال يعقوب البركة فعلًا.

(٢) تغيير اسمه من «يَعْقُوبَ إِلَى إِسْرَائِيلَ». هذا من حق الله فقط، فلا يملك الملاك الحق في أن يغير اسم إنسان، وقد صار اسمه في كل التاريخ الكتابي بعد ذلك اللقاء (إسرائيل) وهو الاسم الجديد الذي أخذه.

(٣) قال له الله بعد أن غيَّر اسمه: «لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ» (تك ٣٢:٢٨)..فما معنى القول: «جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ»؟ وما معنى قول هوشع النبي تعليقًا على هذه الحادثة: «وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللهِ»؟ (هو ١٢:٣).

(٤) كون أن الذي ظهر له، ضرب حُق فخذه، فانخلع فخذه، وصار يخمع عليه (تك ٢٥: ٣١،٣٢). هذا لا يحدث من ملاك، فالملاك لا يضرب إلا إذا أخذ أمرًا صريحًا بذلك من الله، وبخاصة لو كان يضرب أحد الآباء أو الأنبياء.

(٥) يقول الكتاب أن يعقوب رأى الله وجهًا لوجه: «فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلًا: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ (פנים אל–פנים) وَنُجِّيَتْ نَفْسِي»» (تك ٣٢:٣٠).

(٦) قول هوشع النبي بالروح: «بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ. وَجَدَهُ فِي بَيْتِ إِيلَ وَهُنَاكَ تَكَلَّمَ مَعَنَا» (هو ١٢: ٤). والرحمة لا تُطلَب إلا من الله.

من الذي صارع يعقوب؟

هل صارع يعقوب إنسان كما جاء في (تك ٣٢:٢٤)، أم ملاكًا كما جاء في (هو ١٢: ٣،٤)، أم الله كما جاء في (تك ٣٢:٣٠،٢٨)؟

«فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ» (تك ٣٢:٢٤)

«لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك ٣٢:٣٠).

«لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ» (تك ٣٢:٢٨).

«وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللهِ. ٤جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ. بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ» (هو ١٢:٣و٤).

من هو هذا الكائن الغير عادي الذي صارعه وأُطلِق عليه مرة أنه (إِنْسَانٌ) وأنه (الْمَلاَكِ) وأنه (اللهَ)؟

أقول بكل تأكيد لم يصارع يعقوب الله ولم يره، لأن الله قال لموسى: «لا تَقْدِرُ انْ تَرَى وَجْهِي لانَّ الانْسَانَ لا يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خر٣٣:٢٠). وصرخ إشعياء النبي قائلًا: «حَقًّا أَنْتَ إِلَهٌ مُحْتَجِبٌ يَا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ» (إش ٤٥:١٥) فلن يستطيع أحد قط أن يعاينه.

وقال الرسول بولس: «الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ» (اتي ٦:١٦).

وقال الرسول يوحنا: «اَللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ» (ايو ١٢:٤).

تقول إذًا كيف قال يعقوب: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك ٣٢:٣٠)؟

لاحظ العلماء أن هناك فرق في اللغة العبرية

يوضح لنا شيئًا في غاية الأهمية اللاهوتية:

قال يعقوب:

«لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك ٣٢:٣٠).

«ויקרא יעקב שם המקום פניאל כי־ראיתי אלהים פנים אל־פנים ותנצל נפשי».

ويخبرنا الوحي عن موسى أنه رأى الله أيضًا وجهًا لوجه

«وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ» (خر ٣٣:١١).

«ודבר יהוה אל־משה פנים אל־פנים כאשר ידבר איש אל־רעהו»

ولكن قال الله:

«لا تَقْدِرُ انْ تَرَى وَجْهِي لانَّ الانْسَانَ لا يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خر ٣٣:٢٠).

ויאמר לא תוכל לראת את־פני כי לא־יראני האדם וחי:

ما الفرق بين الوجه في النصين الأول والثاني والوجه في النص الثالث؟

الاختلاف في الضمير (את) الذي يسبق كلمة وجهي (את־פני).

فالضمير الذي يسبق وجهي (את) (ايت) ليس ضمير ملكية في العبرية ، بل يعني الذات أو الكيان، ولا يوجد له مثيل في بقية اللغات[٤]:

ومن هنا نفهم أنه لا يعقوب ولا موسى ولا أي شخص رأى الذات الإلهية، فبالنسبة ليعقوب نقرأ:

«فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ» (تك ٣٢:٢٤).

ויותר יעקב לבדו ויאבק איש עמו עד עלות השחר:

إذن كانت الرؤية لتجسد مؤقت لله. أو لجلٍ لله في صورة إنسان، فظهر له في هذه الهيئة وكان يتكلم معه.

وفي سفر العدد يوضح الوحي أيضًا أن ما رآه موسى لم يكن الجوهر الإلهي بل شبه الرب فنقرأ:

«فَمًّا إِلى فَمٍ وَعَيَانًا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ لا بِالأَلْغَازِ. وَشِبْهَ الرَّبِّ يُعَايِنُ» (عد ١٢:٨).

פה אל־פה אדבר־בו ומראה ולא בחידת ותמנת יהוה יביט

وكأن ما كان يراه موسى ليس وجه الله ولا ذاته بل قناع شبه الرب، لأن وجه اللاهوت أو الذات الإلهية لا يُرى.

وما يؤكد هذا أيضًا استعمال نفس الضمير لوصف الذات الإلهية في:

(تك ١٧:١) وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الارْضِ.

«ויתן אתם אלהים ברקיע השמים להאיר על־הארץ».

فهي تشير إلى ذات الله (الجوهر الإلهي).

والكلمة تتعدد استعمالاتها لتصف ذات الشيء أو جوهره: جوهر النور أو جوهر المادة أو جوهر الإنسان ... إلخ.

إذًا عندما تكلم يعقوب أو موسى مع الله (אלהים) إلوهيم لم يكن مع الجوهر الإلهي لأن وجه أو شكل الجوهر الإلهي في ذاته لا يُرى، لأن الإنسان بطبيعته الحالية لا يمكن أن يحتمل رؤيتها.

ظهورات للمسيح قبل التجسد:

قال يوحنا الحبيب:

«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ (μονογενής) (الوحيد الجنس) الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ. (εξηγησατο) (يو ١: ١٨).

والفعل (خَبَّرَ) في صيغة الماضي التام فهو الذي ظهر لكل الآباء في العهد القديم، وقد أكّد المسيح هذا حين قال:

«أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (يو ٨:٥٦).

نعم فهو موجود منذ الأزل ألم يقل البشير يوحنا: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ (يو١:١-٤). والبدء المقصود هنا ليس بدء كتابة الإنجيل، ولا حتى بدء الخليقة، بل هو البدء الذي لا بداءة له، البدء الذي يعجز العقل البشرى عن الوصول له.

وقال كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ.» (عب ١٣:٨) فهو الأزلي الأبدي.

وقد أعلن المسيح عن أزليته بوضوح في أكثر من موقف منها:

في صلاته الشفاعية قال: «مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ» (يو ١٧:٥).

وقال أمام اليهود: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يو ٨:٥٨). والنص اليوناني يستخدم هنا صيغة المضارع لا الماضي فهو لم يقل «أنا كنت».

ويوضح ف.ف. بروس قائلًا: «لو كان للمسيح مجرد وجود سابق، لكنه ليس أزليًا، لقال: «قبل أن يكون إبراهيم كنت» لكن يسوع مضى خطوة أبعد من ذلك فتحدث عن نفسه باستخدامه تعبير «أنا كائن» أي الأبدي الدائم الوجود. فلم تأت لحظة في الوجود لم يكن موجودًا فيها»[٥].

ويقدم وليم باركلي تعليقًا هامًا فيقول: «يسوع لا زمني. لم يكن هناك وقت قط دخل فيه المسيح إلى حيّز الوجود، ولن يوجد وقت سيتوقف فيه عن الوجود. لا نستطيع أن نقول عن يسوع «لقد كان» يجب أن نقول دائمًا «إنّه يكون» أو «أنه الكائن» نرى في يسوع لا زمنية الله، الذي كان إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، الذي كان قبل الزمن وسيظل بعده فهو دائم الوجود»[٦].

فالكتاب المقدس يؤكد على أن المسيح كان موجودًا من قبل تجسده، بل لم يكن لوجوده بداية ولن تكون له نهاية، فهو البداية والنهاية.

وظهورات الله في شكل مادي في العهد القديم تؤكد أزلية المسيح مثلًا: (تك ١٨:١-١٩؛ ١٦:٧-١٣؛ ١٦،٢٢:١٥؛ ٣١:١١-١٣؛ ٣٢:٣٠؛ ١٦،٤٨:١٥؛ خر ٤:٢-٤؛ ١أخ ٢١:١٥-١٩؛ مز ٧،٣٤:٦؛ زك ١٢:١٠).

ومن هنا نستطيع أن نقول إن يعقوب:

(١) جاهد مع الله:

وذلك لأن المسيح هو الإعلان الحقيقي للآب، وهو صورة الله، ألم يقل الرسول بولس: «اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ (μορφη) اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ» (كو ١:١٥)، وكلمة (صُورَةُ) في اللغة اليونانية هي (μορφη) (مورفي) تعني ذات طبيعة وجوهر الله[٧].

ولذا فتعبير «صُورَةِ اللهِ» يرد في بعض

الترجمات كالآتي:

(NIV) In The Very Nature of God

في طبيعة الله ذاته

(CEV) Christ is exactly like God, who cannot be seen.

المسيح هو بالضبط مثل الله، الذي لا يمكن رؤيته.

(ERV) No one can see God, but the Son is exactly like God.

لا يمكن لإنسان أن يرى الله، ولكن الابن هو بالضبط مثل الله.

(Murdock) who is the likeness of the invisible God.

الذي هو شبيهه الله غير المنظور

أي الذي له نفس طبيعة وجوهر الله، الأزليّ الأبديّ، الذي لا بداية له ولا نهاية، كقول الوحي: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عب ١٣:٨). وقول الرب يسوع المسيح عن نفسه «أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ» (رؤ ٢٢:١٣).

فهو صورة الله المُعَبِّر عن الكيان الجوهريّ للذات الإلهية الذي هو الله.

ولأن المسيح أيضًا هو رسم جوهر الآب، ألم يقل كاتب الرسالة إلى العبرانيين:

«الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ (χαρακτήρ) (أي نحت جوهره أو شكل جوهره)، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عب ١: ٣).

وتعبير (وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ) يرد في بعض الترجمات كالآتي:

(NIV) and the exact representation of his being

التمثيل الدقيق لكيانه

(BBE) the true image of his substance

الصورة الحقيقية لطبيعته

(CEV) and is like him in every way.

ومثله في كل شيء

(EMTV) and the exact expression of His substance

التعبير الدقيق لوجوده

(ERV) . He is a perfect copy of God's nature.

وهو نسخة كاملة من طبيعة الله

(ESV) and the exact imprint of his nature.

البصمة الدقيقة لطبيعته

(GNB) and is the exact likeness of God's own being.

ومثاله بالضبط في وجوده الخاص

(GW) (ISV) and the exact likeness of God's being.

الشبه الدقيق لوجود الله

فالابن هو شكل جوهر الآب والجامع لكل صفاته، وبه يُعرَف الآب

(٢) جَاهَدَ مَعَ المَلاَكِ:

فمن هو ملاك الرب في العهد القديم؟

عندما ظهر الله لموسى في العليقة نقرأ:

«وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ!». فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فنقرأ: «فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى مُوسَى». فَقَالَ: «هَئَنَذَا». فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ» (خر ٣:٢-٦).

فملاك الرب هنا ليس مجرد ملاك بل هو تجلٍ إلهي، هو تجسد مؤقت لله لكي يهيئ البشرية للتجسد الكامل في شخص المسيح.

وعندما ظهر الرب لامرأة منوح نقرأ:

«وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ صُرْعَةَ مِنْ عَشِيرَةِ الدَّانِيِّينَ اسْمُهُ مَنُوحُ. وَامْرَأَتُهُ عَاقِرٌ لَمْ تَلِدْ. فَتَرَاءَى مَلاَكُ الرَّبِّ لِلْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا: «هَا أَنْتِ عَاقِرٌ لَمْ تَلِدِي، وَلَكِنَّكِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا». وظهر لها مرة أخرى «فَسَمِعَ اللهُ لِصَوْتِ مَنُوحَ. فَجَاءَ مَلاَكُ اللهِ أَيْضًا إِلَى الْمَرْأَةِ وَهِيَ جَالِسَةٌ فِي الْحَقْلِ، وَمَنُوحُ رَجُلُهَا لَيْسَ مَعَهَا». ثم جاء رجلها وسأله: «مَا اسْمُكَ حَتَّى إِذَا جَاءَ كَلاَمُكَ نُكْرِمُكَ؟» فَقَالَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي وَهُوَ عَجِيبٌ؟»... فَقَالَ مَنُوحُ لامْرَأَتِهِ: «نَمُوتُ مَوْتًا لأَنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا اللهَ». (قض ١٣: ٢-٢٢).

ومن هو صاحب الاسم العجيب؟ أليس هو المسيح! ألم يقل إشعياء:

«لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ» (إش ٩:٦).

(٣) صَارَعَهُ إِنْسَانٌ:

عندما نقرأ: «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ». لا نتعجب، فقد ظهر الرب ليشوع في صورة رجل أي (إنسان):

«وَحَدَثَ لَمَّا كَانَ يَشُوعُ عِنْدَ أَرِيحَا أَنَّهُ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ، وَإِذَا بِرَجُلٍ وَاقِفٍ قُبَالَتَهُ، وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ بِيَدِهِ. فَسَارَ يَشُوعُ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لأَعْدَائِنَا؟» فَقَالَ: «كَلاَّ، بَلْ أَنَا رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ. الآنَ أَتَيْتُ». فَسَقَطَ يَشُوعُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ. وَقَالَ لَهُ: «بِمَاذَا يُكَلِّمُ سَيِّدِي عَبْدَهُ؟» فَقَالَ رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ لِيَشُوعَ: «اخْلَعْ نَعْلَكَ مِنْ رِجْلِكَ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ هُوَ مُقَدَّسٌ». فَفَعَلَ يَشُوعُ كَذَلِكَ» (يش ٥: ١٣-١٥).

يقول آدم كلارك (Adam Clarke): «إنه ليس مجرد رجل، ولا مجرد ملاك أو رئيس ملائكة بل كلمة الله نفسه، إذ يقول له: «اخْلَعْ نَعْلَكَ مِنْ رِجْلِكَ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ هُوَ مُقَدَّسٌ». وهو ما قيل لموسى النبي أيضًا حين ظهر له الرب في العليقة المتقدة بالنار»[٨].

ويقول العلامة أوريجانوس: «لقد أدرك يشوع بالروح ليس فقط أنه من عند الله، إنما هو الله نفسه، فإنه ما كان يعبده لو لم يعرف أنه هو الله»[٩].

وقد رأى دانيال النبيّ في رؤياه العظيمة «مِثْلَ ابْنِ إِنْسَانٍ» فيقول: «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ

الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأَعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ» (دا ٧: ١٣-١٤).

وهنا نرى هذا الكائن السمائيّ الذي رآه دانيال النبيّ في شكل «ابْنِ إِنْسَانٍ» له عدَّة صفات لا يُمكن أنْ تكون لإنسانٍ أو ملاكٍ أو أي كائنٍ مخلوقٍ. إنما هي خاصَّة باللَّه وحده! فقد أُعطي «سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ». إذًا فهو صاحب السلطان على كلّ الخليقة وملك الملكوت الذي له المجد وحده إلى الأبد، والمعبود من جميع الخليقة «لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ». والكتاب المقدَّس يُؤكِّد أنَّه لا سجود ولا عبادة إلاَّ للَّه وحده «لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مت ٤: ١٠).

فمَنْ هو هذا الكائن السمائيّ الذي رآه دانيال النبي « مِثْلَ ابْنِ إِنْسَانٍ « الآتي على سُحُب السماء؟ والإجابة هي أنَّه الربّ يسوع المسيح نفسه الآتي على السحاب. وهذا ما أكَّده الربّ يسوع المسيح نفسه عندما سأله رئيس الكهنة قائلا « أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحَ ابْنُ اللَّهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! أَنَا هُوَ». و «وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ» « (مت ٢٦: ٦٣-٦٤؛ مر ١٤: ٦٢).. كما أنَّ جميع الأوصاف التي وُصف بها هذا الكائن السمائيّ الآتي مثل ابن الإنسان هي أوصاف الربّ يسوع المسيح نفسه.

لذلك عندما يقول الوحي لقد صَارَعَهُ إِنْسَانٌ. أو صَارَعَهُ ابن إِنْسَانٌ فالكلام سليم فلقد كان الرب يهيئ شعبه لمجئ ابن الإنْسَان.

أخيرًا أقول عندما تكلم إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وغيرهم مع الله (אלהים) ألوهيم لم يكن مع الجوهر الإلهي لأن وجه أو شكل الجوهر الإلهي في ذاته لا يُرى. ولأن الإنسان بطبيعته الحالية لا يمكن أن يحتمل رؤيتها لكنهم كانوا يتحدثون مع الرب يسوع في ظهوراته قبل تجسده.

ولكن يوحنا الحبيب يؤكد لنا أنه سيأتي الوقت الذي سنرى فيه الله كما هو لكن بأجسامنا النورانية:

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ». (١يو ٣: ٢).

وكذلك الرسول بولس:

«فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ فِي لُغْزٍ لَكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ» (١كو ١٣: ٩).

ما هي طبيعة هذا الصراع؟

الكل يسأل: كيف صارع يعقوب الله؟

هل يمكن لإنسان أن يصارع الله؟

وهل من المعقول أن ينتصر الإنسان على الله؟

إن الفعل (صَارَعَهُ) في اللغة العبرية (אבק) (أباق) يعني (طاف، وحلق، وتشبث، وصارع، وناضل، وجاهد) وهو لم يرد في كل العهد القديم سوى في هذا النص ويتكرر مرتين «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ (ויאבק) إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. ٢٥وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ (בהאבקו) مَعَهُ» (تك

٣٢: ٢٤، ٢٥) [١٠].

وفي الحقيقة كلمة (وصَارَعَهُ) و (مُصَارَعَتِهِ) ترجمة غير دقيقة لأن الكلمة العبرية تحمل معنى الصراع والجهاد الروحي وليس المصارعة والحرب، فهي تختلف تمامًا عن كلمة (מלחמה) (ملحمة) التي تعني يصارع ويصرع وعراك وخناق وحرب (war, warfare, battle, fight)، التي استُخدِمَت بكثرة في العهد القديم.

ولذلك نجد النص أوضح في بعض الترجمات مثل:

(ISV) And so Jacob was left alone, and he struggled with a man until daybreak.

(MKJV) And Jacob was left alone. And a Man wrestled there with him until the breaking of the day.

(ت ع م) «وبقي يعقوب وحده، فصارعه (ויאבק) رجل حتى طلوع الفجر ٢٦ولما رأى أنه لا يقوى على يعقوب في هذا الصراع (בהאבקו)، ضرب حُق وركه فانخلع».

هناك فرق كبير بين الصراع والمصارعة. لقد اكتشف يعقوب أنه أمام مصدر البركة، الشخص الذي يستطيع أن يباركه، فهل يصارعه بمعنى المصارعة الحرة؟ أم أنه صراع من طبيعة مختلفة؟

وهل من المعقول إن يتصارع معه بمعنى (المصارعة الحرة) وهو في نفس الوقت يتوسل إليه ويرجو منه بركة؟

ويؤكد لنا سفر هوشع أن الصراع الذي استمر حتى طلوع الفجر لم يكن صراعًا بدويًا بل جهادًا روحيًا فيقول: «فِي الْبَطْنِ قَبَضَ بِعَقِبِ أَخِيهِ، وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللهِ. ٤جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ. بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ» (هو ١٢: ٣و٤). فيُظهِر هوشع يعقوب الغالب وهو يبكي، وهذا دليل كافٍ على أن هذا الصراع لم يكن صراعًا جسمانيًا بقدر ما هو صراع روحي.

إنه يوضح لنا أن يعقوب ظل ساقطًا على وجهه أمام الرب الذي ظهر له، يبكي ويسترحم حتى طلوع الفجر. فأي نوع من الصراع هنا؟

إن هذا البكاء غير مذكور في سفر التكوين، لكنه مثل دموع يسوع في جثسيماني التي لم تُذكَر في البشائر الأربعة بل في (عب ٥: ٧).

ولماذا بكى؟ إنها دموع التوبة، وطلب الرحمة.

إن الفعل (وَاسْتَرْحَمَهُ) في العبرية (ויתחנן) من الفعل (חנן) (حنن) وتعني (تضرع، يرحم، ينعم، يتحنن) وقد وردت في العهد القديم ٧٥مرة، وأرجو أن تلاحظ معي كيف تُرجِم في الآيات التالية:

(تك ٣٣: ٥) ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ وَقَالَ: «مَا هَؤُلاَءِ مِنْكَ؟» فَقَالَ: «الأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَنْعَمَ (חנן) اللهُ بِهِمْ عَلَى عَبْدِكَ».

(تك ٣٣: ١١) خُذْ بَرَكَتِي الَّتِي أُتِيَ بِهَا إِلَيْكَ لأَنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَمَ (חנני) عَلَيَّ وَلِي كُلُّ شَيْءٍ». وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَأَخَذَ.

(خر ٣٣: ١٩) فَقَالَ: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأَّفُ (ורחמתי) عَلَى مَنْ أَتَرَأَّفُ (אחן) وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ (ארחם).

(عد ٦: ٢٥) يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ (ויחנך).

(تث ٣: ٢٣) «وَتَضَرَّعْتُ (ואתחנן) إِلَى الرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَائِلًا...».

(١مل ٣٣:٨) إِذَا انْكَسَرَ شَعْبُكَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْعَدُوِّ لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَيْكَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْكَ وَاعْتَرَفُوا بِاسْمِكَ وَصَلُّوا وَتَضَرَّعُوا (התחננו) إِلَيْكَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ،

(٢مل ٢٣:١٣) فَحَنَّ (ויחן) الرَّبُّ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ لأَجْلِ عَهْدِهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ، وَلَمْ يَطْرَحْهُمْ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى الآنَ.

(٢أخ ٢٤:٦) وَإِنِ انْكَسَرَ شَعْبُكَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْعَدُوِّ لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَيْكَ ثُمَّ رَجَعُوا وَاعْتَرَفُوا بِاسْمِكَ وَصَلُّوا وَتَضَرَّعُوا (והתחננו) أَمَامَكَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ

(مز ٤:١) عِنْدَ دُعَائِي اسْتَجِبْ لِي يَا إِلَهَ بِرِّي. فِي الضِّيقِ رَحَّبْتَ لِي. تَرَاءَفْ (חנני) عَلَيَّ وَاسْمَعْ صَلاَتِي.

(مز ٥١:١) ارْحَمْنِي (חנני) يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ.

(مز ٦٧:١) لِيَتَحَنَّنْ (יחננו) اللهُ عَلَيْنَا وَلْيُبَارِكْنَا. لِيُنِرْ بِوَجْهِهِ عَلَيْنَا. سِلاَهْ.

(مز ١٤٢:١) بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَصْرُخُ. بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَتَضَرَّعُ. (אתחנן)

إن عبارة «بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ» (هو ١٢: ٤). ترد في الترجمات المختلفة كالآتي:

(ت ع م) بكى وتضرع إليه.

(ك ح) بكى والتمس رضاه وبركته

(ASV). (DRB). (JPS). (KJV). (RV) he wept, and made supplication unto him

بكى وخضع له

(BBE) he made request for grace to him with weeping;

وطلب النعمة بالدموع

(CEV) then with tears in his eyes, he asked for a blessing.

طلب البركة والدموع في عينيه

(ESV). (ERV) He cried and asked for a favor.

بكى وطلب الرحمة

(GNB) He wept and asked for a blessing. him.

بكى وطلب البركة

(GW). (LITV) he wept and pleaded to Him

بكى وتوسل

(Bishops). (ISV); he cried and prayed to him.

بكى وصلى

لم يكن الصراع شيئًا معنويًا. ولا مجرد حلم. ولا جهاد صلوات قوية فقط. بل كان مزيجا من الصلاة والصراع والجهاد الجسدي خرج منه يعقوب وهو «يخمع» على فخذه. فكيف يخرج بعاهة لو كان هذا الصراع مجرد حلم أو صلوات فقط؟؟

فملخص الموضوع يدركه كل إنسان مسيحي يعرف معنى الجهاد في الصلاة. أما من لايعرف غير كلمات محفوظة يكررها قيامًا وقعودًا بدون فهم فبالطبع سوف لا يدرك هذا الصراع الروحي الرائع.

وكلمة الله تشجعنا على هذا الجهاد والصراع الروحي. فلقد ذُكِرَت كلمة الجهاد ومشتقاتها في الكتاب المقدس حوالي ٦١ مرة تقريبًا. فمثلًا نتذكر ما جاء عن أبفراس:

(كو ٤:١٢) «يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَبَفْرَاسُ، الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ، عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ، مُجَاهِدٌ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ بِالصَّلَوَاتِ، لِكَيْ تَثْبُتُوا كَامِلِينَ وَمُمْتَلِئِينَ فِي كُلِّ مَشِيئَةِ اللهِ».

وما جاء عن بولس:

(رو ١٥:٣٠) فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَبِمَحَبَّةِ الرُّوحِ، أَنْ تُجَاهِدُوا مَعِي فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِي إِلَى اللهِ.

وما جاء عن الرب يسوع:

(لو ٢٢:٤٤) وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ. وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ.

كيف ضَرَبَه على (حُق فخذه)؟

الفعل (ضرب) في اللغة العبرية (נגע) (نجع) وقد ورد في العهد القديم ١٤٩ مرة منهم ٩٢ بمعنى لمس وبعض المرات بمعنى اقترب ومرادفاتها ولم تُستَخدم ولا مرة بمعنى ضرب باليد[١١]

وإليك بعض الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة:

(تك ٣:٣) وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ (תגעו) لِئَلاَّ تَمُوتَا.

(١مل ١٩:٥) وَاضْطَجَعَ وَنَامَ تَحْتَ الرَّتَمَةِ. وَإِذَا بِمَلاَكٍ قَدْ مَسَّهُ (נגע) وَقَالَ: قُمْ وَكُلْ.

(أس ٥:٢) فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ أَسْتِيرَ الْمَلِكَةَ وَاقِفَةً فِي الدَّارِ نَالَتْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ فَمَدَّ الْمَلِكُ لأَسْتِيرَ قَضِيبَ الذَّهَبِ الَّذِي بِيَدِهِ فَدَنَتْ أَسْتِيرُ وَلَمَسَتْ (ותגע) رَأْسَ الْقَضِيبِ.

(أي ٥:١٩) فِي سِتِّ شَدَائِدَ يُنَجِّيكَ وَفِي سَبْعٍ لاَ يَمَسُّكَ (יגע) سُوءٌ.

(مز ١٠٥:١٥) قَائِلًا: لاَ تَمَسُّوا (תגעו) مُسَحَائِي وَلاَ تُسِيئُوا إِلَى أَنْبِيَائِي.

(إش ٦: ٦،٧) فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ ٧وَمَسَّ (ויגע) بِهَا فَمِي وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ (נגע) شَفَتَيْكَ فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ.

(إر ١:٩) وَمَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ (ויגע) فَمِي وَقَالَ الرَّبُّ لِي: هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي فِي فَمِكَ.

(دا ١٠:١٠) وَإِذَا بِيَدٍ لَمَسَتْنِي (נגעה) وَأَقَامَتْنِي مُرْتَجِفًا عَلَى رُكْبَتَيَّ وَعَلَى كَفَّيْ يَدَيَّ.

(زك ٢:٨) لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: بَعْدَ الْمَجْدِ أَرْسَلَنِي إِلَى الأُمَمِ الَّذِينَ سَلَبُوكُمْ لأَنَّهُ مَنْ يَمَسُّكُمْ (הנגע) يَمَسُّ (נגע) حَدَقَةَ عَيْنِهِ.

إذًا فكلمة (ضَرَب) غير دقيقة لأنها في الأصل العبري «مس أو لمس» ولذلك وردت في معظم التراجم الإنجليزية (touched) لمس.

(Darby). (Brenton). (ASV). (DRB). (ERV). (ESV). (GW). (JPS). (KJV). (LITV). (MKJV). (RV). (Webster) And when he saw that he prevailed not against him, he touched the hollow of his thigh; and the hollow of Jacob's thigh was strained, as he wrestled with him.

ما معنى غلب؟ وكيف غلب؟

أرجو أن تلاحظ أن الفعل (غَلَبَ) (ויכל)

(ويكل) في اللغة العبرية الوارد في هوشع، هو نفسه المترجَم (يَقْدِرُ) و (قَدِرْتَ) في (تك ٣٢: ٢٨،٢٥) كالآتي:

(هو ١٢: ٤) «جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ (ויכל). بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ».

(تك ٣٢:٢٥) لَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ (יכל) عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ.

(تك ٣٢:٢٨) فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ (ותוכל).

ولكن كيف يقول أنه (لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ) ويطلب منه (أَطْلِقْنِي) وهو بضربة استطاع أن يخلع حق فخذه؟

وحُق الفخذ يعتبر واحدًا من أقوى المفاصل في جسم الإنسان ويحتاج إلى قوة رهيبة لخلعه فوق قدرة أي إنسان بدون سلاح.

فهو مثل نصف كرة مثبت بقوة، لكي ينخلع يحتاج أن تحرّك الساق بجملتها بقوة شديدة إلى الخارج، لذلك أقول إن هذا الكائن الذي بلمسة خلع هذا المفصل القوي لم ينهزم بصراع يدوي، وكما أوضحت في البداية أنه لم يكن صراعًا يدويًا.

لذلك عندما أسأل: هل يستطيع الإنسان أن يغلب الله؟ أقول نعم، يستطيع.

لقد قال الرب لعروس النشيد: «حَوِّلِي عَنِّي عَيْنَيْكِ فَإِنَّهُمَا قَدْ غَلَبَتَانِي» (نش ٦:٥). فالله يُغلَب بالدموع والتوبة.

وقد وردت هذه الكلمات في إحدى الترجمات كالآتي:

(YLT) And he overcometh by weeping. And he maketh supplication to Him.

وغلبه بالدموع وخضع له

وقد تسأل: كيف غلب وهو خارج من الصراع يخمع على فخذه؟ إن أي إنسان يدخل صراع من أي نوع ويخرج منتصرًا فهذا يعني أنه حصل على ما أراد من هذا الصراع، من أجل هذا قيل عن يعقوب إنه انتصر لأنه أخذ البركة التي كان يريدها من الصراع وفاز بالرحمة والاسم الجديد والارتباط بالرب إلى الأبد.

فيعقوب هنا لم ينسحب، وظل يصارع قدر طاقته حتى النهاية، ولم يحول عينه عن الرب حتى غلبه بعينيه المملوئتين بدموع التوبة وطلب الرحمة والبركة.

لماذا خلع حُق فخذه؟

يقول القس الياس مقار: «لقد كان الله يصارع مع يعقوب وفي نفس الوقت يعضده، كأنه يصارع ضده بيده اليسرى ويصارع من أجله بيده اليمنى فيعطيه قوة أكبر مثل أب يلاعب ابنه الطفل الصغير»[١٢].

إن الله يحب أن نصارع معه ويسر بأن يسمح وكأننا انتصرنا عليه ويفرح بذلك لأنه أب.

ولقد كان يعقوب يجاهد بكل قواه أمام الله لدرجة أن يطلب منه أن يطلقه، ويعقوب يجيب: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فباركه. ولكن ضربه. واضح مما سبق أن الرب قصد أن يخلع حُق فخذ يعقوب، والسؤال: لماذا؟

يقول قداسة البابا شنودة الثالث: « كان الله يريد أن يفرح يعقوب بانتصاره، فسمح له أن

ينتصر، وغير اسمه إلى إسرائيل، ولكن ضربه لكي لا يكون انتصاره سبب كبرياء له»[١٣].

ولكن بدراسة القرينة نجد أن هذا الصراع قد حدث مع يعقوب وهو في طريق العودة من بيت خاله لابان، وقبيل اللقاء الخطير المرتقب بعيسو، وكان يعقوب قد أَرْسَلَ رُسُلاً قُدَّامَهُ إِلَى عِيسُوَ أَخِيهِ، وواضح أنه أرسلهم لجس نبض أخيه، وليعرف موقفه بالضبط، وربما قدراته وسلاحه، فذهب الرسل وعادوا إلى يعقوب وقالوا له: «أَتَيْنَا إِلَى أَخِيكَ إِلَى عِيسُو وَهُوَ أَيْضًا قَادِمٌ لِلِقَائِكَ وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ مَعَهُ» (تك ٣٢:٦). واضح من تسلسل القصة أن رسل يعقوب لم يبلّغوا عيسو بالرسالة التي أرسلهم بها يعقوب، لأنهم لم يأتوا بأي رد من عيسو، فمن المحتمل أنهم عندما شاهدوه من بعيد ومعه كل هذا العدد الكبير خافوا لئلا يقتلهم فعادوا سريعًا وأدركوا أن له هدف عدائي.

وقد نزل الخبر على يعقوب نزول الصاعقة، وخاصة عندما أدرك أن عيسو على دراية بتحركاته وقادم للقائه، فلقد هرب من بيت خاله سرًا، فكيف عرف عيسو تحركاته؟ هل هو متعطش للانتقام؟ هل هناك جواسيس لعيسو في بيت لابان؟ وهنا يقول الكتاب عن يعقوب: «فَخَافَ يَعْقُوبُ جِدًّا وَضَاقَ بِهِ الأَمْرُ».

والدارس لشخصية يعقوب يعرف أنه كان يثق في قدراته وذكائه ويعتمد على ذراعه البشري بشكل غير عادي، واستطاع بالفعل أن يستغل لحظة ضعف عيسو ويشتري البكورية، ثم خدع أبيه وسرق البركة، ثم خدع لابان وأخذ أفضل الأغنام، وهرب من بيته بخديعة.

وكان يعقوب يعتز بقوته الجسدية كثيرًا، فقد خرج من بيت أبيه من بئر سبع وذهب إلى حاران حيث بيت خاله لابان، قطع مسافة ٨٠٥ كم تقريبًا، وبعدما وصل كان الحجر الذي يوضع على البئر ضخمًا، وكان لابد أن يجتمع كل الرعاة لكي يرفعوه عن البئر لكي تشرب الغنم، ولكن يعقوب أزاحه وحده وسقى غنم خاله «فَكَانَ لَمَّا أَبْصَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ بِنْتَ لاَبَانَ خَالِهِ وَغَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ أَنَّ يَعْقُوبَ تَقَدَّمَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ وَسَقَى غَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ» (تك ٢٩:١٠).

والآن هو في مأزق ويتمنى أن يستجمع كل قواه الجسدية والعقلية لكي يواجه الموقف. وهنا ضرب الله يعقوب في مركز قوته، لقد خلع الرب حُق فخذه حتى لا يعتمد على قوته. لقد جرّده من القوة التي يعتمد عليها، لقد أراد الله أن يجعله يستسلم ويسلم تمامًا إلى الله، وحتى يختبر أنه «لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» (زك ٤: ٦). ويجعله يعرف ويعترف بفضل الله في كل عمل سوف يأتي بعد هذا الحدث.

ويقول الأب بولس الفغالي: «بعد لقاء يعقوب بالربّ عرف بطلان قوّته وحيلته وعمله وجهده، وتأكّد أنّ النصر لا يأتيه إلاّ بعون الله. حينذاك أصبح المنتصر الأكبر على ذاته وعلى الناس واطمأنّ إلى مصيره»[١٤].

المراجع

(١) منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟ ص.٦٩..

(٢) علاء أبو بكر. البهرين ج ١ س ٢٦٨.

(٣) د. القس منيس عبد النور. شبهات وهمية. ص١١٣.

(4) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 289.

(٥) ف.ف. بروس. أقوال يسوع الصعبة.ترجمة نجيب جرجور ص٢٦٤.

(٦) وليم باركلي. تفسير إنجيل يوحنا. ج١، ص٩٢.

(7) Word Studies in the N.T.V.4. p. 563.

(8) Adam Clarke's Commentary on the Bible. p.257.

(٩) الأب تادرس يعقوب ملطي. تفسير سفر التكوين، ص ١٨١.

(10) William L. Holladay.A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the O.T. p.267

(11) The Complete Word Study Dictionary: Old Testament. p. 341.

(١٢) القس الياس مقار.رجال الكتاب المقدس، ج ١ ، ص٢١٦.

(١٣) تأملات في حياة يعقوب ويوسف ص ٥٥، ٥٦.

(١٤) الأب بولس الفغالي. وصايا الآباء. ص١٥١.